رزان الرابي

حين يتنفس القلب

رواية

حِينَ يَتَنَفَّسُ القَلْبُ

حينَ يَتَنَفَّسُ القَلْبُ

رواية

رازان الرابي

2025

• حين يتنفس القلب

(رواية)

• رزان الرابي

• طبعة أولى 2025

• الإخراج الفني: سمير اليوسف هاتف: 0799677569

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2025/8/4333)

بيانات الفهرسة الأولية للكتاب:

عنوان الكتاب	: حين يتنفس القلب
تأليف	: الرابي، رزان نواف حلمي
بيانات النشر	: عمان: رزان نواف حلمي الرابي، 2025
الوصف المادي	: 94 صفحة
رقم التصنيف	: 813.03
الواصفات:	: /الروايات العربية // الأدب العربي//العصر الحديث/
الطبعة	: الطبعة الأولى

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

• (ردمك): 978-9923-0-1891-0 ISBN

• جميع الحقوق محفوظة للمؤلف. لا يُسمَح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبَق من المؤلف.

• All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior written permission of the author.

الإهداء

إلى كلِّ قلبٍ ظنَّ أنَّ أنفاسَه أوشكت على الانطفاءِ،
ثمَّ وجد في الحُبِّ أو في الأملِ شهيقًا جديدًا..
إلى الذينَ سمعوا خفقاتهم تختلطُ بالصَّمتِ
لكنَّهم أصرُّوا أن يمنحوها لحنًا آخر للحياة..
هذه الصَّفحاتُ هديَّةٌ لكم، علَّها تُذكِّركم أنَّ القلبَ
يتنفَّسُ... كلَّما آمَنَّا أنَّه ما زال قادرًا على النبضِ

رزان الرابي

مقدمة

ليستْ هذه الحكايةُ عن الحبِّ فقط، ولا عن الفقدِ، ولا عن الشفاءِ... إنّها عن ذلك الطريقِ الخفيِّ الذي يسلكه القلبُ حين يقرّر أن يعودَ إلى نفسه

«نـور» ليست بطلةً خارقة ً، ولا امـرأةً استثنائيةً كما تصنع الرواياتُ، إنّها مثل كثيرين منّا... تحمل في يدٍ جراحَها، وفي اليد الأخرى محاولتَها للعيش

تتعثّر، تنهض، وتواصل السير، حتى وإن كان الطريقُ غامضًا

هذه الصفحاتُ ليست دعوةً للبحثِ عن النهايةِ السعيدةِ، بل دعوةً لأن نصغيَ إلى البداياتِ الصغيرةِ التي تولدُ فينا بصمتٍ :

حين نغفرُ لأنفسنا،

حين نتوقّفُ عن مطاردةِ ما يهربُ منّا،

وحين نكتشف أنّ أثمنَ ما قد نجدُه في الآخر...

هو مساحةٌ آمنةٌ لنكونَ أنفسَنا بلا خوفٍ

ستجدُ هنا مشاهدَ من مدنٍ مختلفةٍ، وأوقاتٍ متباعدةٍ،

لكنّ الخيطَ الذي يجمعُها واحدٌ

قلبٌ يتعلّمُ، مرّةً بعد مرّةٍ، كيف يتنفّسُ من جديدٍ

فلتفتحْ هذه الصفحاتِ بهدوءٍ...

ولتمشِ مع «نور» في رحلتِها،

علّك تكتشفُ، وأنتَ تقرأُ، شيئًا عن نفسِك

رزان الرابي

آب 2025

نبضُ الخوف

في زقاقٍ قديم تتسلّلُ إليه خيوطُ الشمسِ بخجلٍ بين تعرّجاتِ الجدرانِ، كانت نورُ تمشي بخطى واهنةٍ، تحملُ على كتفيها ثقلَ عمرٍ لم تعشهِ بعدُ.

المدينةُ من حولها تُضحك الغرباءَ، لكنها تخنق أبناءها بالصمتِ الذي لا يُحتملُ.

كلُّ شيءٍ فيها كان هادئًا حدَّ الوجع: نبضُها، أنفاسُها، وحتى دمعتُها التي تتدلّى كلما نظرتْ إلى السَماءِ. لم تكن تبكي من الضعفِ، بل من شعورٍ دفينٍ بأنَّ قلبَها ليس مثل قلوبِ الناسِ، لا بالمعنى المجازيِّ فقط، بل بالحقيقةِ الطبّيةِ المؤلمةِ التي رافقتها منذ أن كان عمرُها خمسَ سنواتٍ.

كانت تعرفُ، منذ صغرها، أنَّ قلبَها يخبّئ سرًّا ثقيلًا؛ سرًّا لا ينبضُ فقط، بل يتنهدُ، ويتألمُ، ويختنقُ. اعتلالٌ وراثيٌّ أصابَ عضلةَ قلبها، جعل نبضَها لا يركضُ حين تحبّ، بل يتلعثمُ خوفًا من أن يتوقّفَ.

في كلّ زيارةٍ إلى الطبيبِ، كانت تسمع جملةً واحدةً تتكررُ على شفاههم:

«يجب أن تحذري من العواطفِ، نـور... العاطفةُ قد تسرقُ منكِ حياتكِ.»

لكن، كيف تحيا روحٌ بلا عاطفةٍ ؟ وكيف ينبضُ القلبُ إذا لم يعرفِ الحُبَّ ؟

كانت نور فتاةً هادئةً، صاخبةٌ فقط في دفترِ يومياتها هناك، كانت تكتبُ أوجاعها بحبرٍ يشبهُ الدموعَ لا أحد يعلمُ أنها تكتبُ، حتى أمّها، التي كانت تظنُّ أنَّ ابنتها

مجردُ طفلةٍ تكثرُ من الصمتِ

لم تكن تعلمُ أنَّ هذا الصمتَ هو الطريقُ الوحيدُ لكي لا ينهارَ قلبها في اليومِ الذي تغيّرِ فيه كلُّ شيءٍ، كانت السماء تمطرُ رائحةَ ياسمينٍ، والمَدينةُ تكتظُّ بالمهرجاناتِ. لكن نورًا لم تخرج للمشاركةِ، بلْ خرجت إلى المستشفى، تحملُ في يدها صورةَ أشعةٍ، وفي قلبها سؤالٌ يخافُ الجوابَ.

حين جلست أمام الطبيبِ الجديدِ، شابٌّ في بدايةِ الثلاثيناتِ، كان يحملُ في عينيه طمأنينةً غريبةً. اسمهُ الدكتورُ هادي، وقد ابتسم لها وقال:

«نورُ»، اسمُكِ يُشبهُكِ

فأجابت بخفوتٍ :

نبضُ الخوف

منذ لقائها الأوّل بالدكتورِ هادي، شعرت نورُ أنَّ قلبَها – برغمِ علّته – بدأ يخفقُ بطريقةٍ مختلفةٍ، لا بسببِ الخوفِ، بل لشيءٍ جديدٍ لم تعرفِ اسمَه بعدُ

كانت تُراقبُ تعابيرَ وجهه وهو يقرأُ التقاريرَ الطبيّةَ ؛ لا ارتباكَ فيه، لا استعجالَ، فقط سكونٌ يشبهُ صوتَ المطرِ حين يهمسُ على زجاجِ النافذةِ

نور، مرضُكِ يحتاجُ إلى متابعةٍ دقيقةٍ... ليس فقط بالدواءِ، بل بالهدوءِ، والعنايةِ، والأملِ

ابتسمت، لكن ابتسامتَها كانت مشروطةً بالخذلانِ

وهل يمكنُ للهدوءِ أن يُغيِّرَ جيناتِ القلبِ ؟

أغلقَ الملفَّ، وأسندَ ظهرَه إلى الكرسيِّ قائلًا

ربما لا، لكنَّ اليأسَ حتمًا يسرقُ فرصَ النجاة

خرجتْ من العيادةِ وهي لا تعلمُ إن كانت قد شُفيت من المرضِ، أم أُصيبت بمرضٍ آخرَ لا يظهرُ في الأشعّةِ: الحنينِ إلى أحدٍ ما دونَ مبرِّرٍ

منذ تلك اللحظةِ، أصبحت زياراتُها للطبيبِ هادي مختلفةً؛ لم تعد تخافُ سماعَ التشخيصِ، بل كانت تخشى ألّا تسمعَه بصوتِه

كانت تحفظُ طريقةَ وقوفِه، ابتسامتَه التي لا تتجاوزُ حدودَ الرزانةِ، وحتى ملامحَ حزنِه حين يصمتُ لحظةً أطولَ من المعتادِ

وفي كلِّ مرّةٍ، كانت تُخبرُ نفسَها

لا تتعلّقي... قلبُكِ لا يحتمل

لكنَّ القلبَ، كعادتِه، لا يسمعُ، بل يتنفّسُ حين لا ينبغي له، وينبضُ حين يُطلَبُ منه أن يصمتَ

وفي أحدِ الأيام، حين كانت في الممرِّ تنتظرُ دورَها، اقتربتْ منها ممرِّضةٌ وهمستَ لها :

الدكتورُ هادي سيسافرُ قريبًا... طُلِبَ للعملِ في الخارجِ

شعرتْ وكأنَّ الأرضَ اهتزّت تحتَ قدميها. لم تُجب، لم تسأل، لم تتحرّكْ

فقط... وضعتْ يدَها على صدرِها تتحسّسُ نبضَه، كأنّها تسأله

«هل تستطيعُ احتمالَ وداعٍ جديدٍ؟»

دخلتْ عليه بعدَ دقائقَ، ولم تكن ملامحُه كما اعتادتْ. كان صوتُه أكثرَ هدوءًا من المعتادِ، وعيناه تشيحانِ عنها كلَّما نظرتْ إليه.

قال بلطفٍ مشوبٍ بالوداعِ:

نور، تحاليلُكِ الأخيرةُ تشيرُ إلى تحسُّنٍ بسيطٍ... وهذا يعني الكثيرَ

هزّتْ رأسَها دونَ حماسٍ، ثم سألتْ

سمعتُ عن السفرِ

أو مأ دونَ أن يعلّقَ، ثم قال

أحيانًا، نُجبرُ على الرحيلِ، حتى لو كان البقاءُ أحبَّ إلينا

وقفتْ، ومدّتْ يدَها نحوه، ثم قالت بصوتٍ أشبهَ بالرجاءِ

شكرًا لأنّك كنتَ النبضَ الذي لا يُنسى

وحين خرجتْ من العيادةِ، لم تكن تعلمْ إن كانت قد عادت إلى مرضِها الأوّل ... أم بدأتْ تُعاني من آخرَ: مرضٍ اسمُه الاشتياقُ

أتمنى أن يصدق الاسمُ أكثرَ من قلبي

نظر إليها مطوّلًا، ثم قال

قلبكِ مرهقٌ، لكنّه لم ينتهِ بعدُ... لا زال فيه شيءٌ يستحقُّ الحياةَ

ولأول مرةٍ، لم تشعر بالخوفِ من الحقيقةِ، بل بالخوفِ من شيءٍ آخر... من الحياةِ ذاتها

رسائلُ لا تُكتبُ

مرّتِ الأسابيعُ ثقيلةً كأنّها تمشي على كتفيها. لم يكن غيابُ الدكتورِ هادي مجرّدَ فراغٍ في جدولِ مواعيدِها، بل فراغٌ في توقيتِ القلبِ.

كانت تتردّدُ على المستشفى كأنّها تبحثُ عن ظلِّه، أو عن عبقِ صوتِه على جدرانِ العيادةِ.

المرضُ تحسَّن، نعم، لكنَّ شيئًا ما في داخلِها كان يزدادُ سوءًا... إنَّه ذلك الحنينُ الخفيُّ الذي لا يُقاسُ بدرجاتِ الحرارةِ، ولا يُكتشفُ في صورِ الأشعّةِ.

ذاتَ مساءٍ، فتحت دفترَها القديمَ. كانت الصفحاتُ بيضاءَ، تنتظرُ شيئًا لا تعرفُه. أمسكت القلمَ، وبدأت تكتبُ... لا وصفًا لمرضِها، بل رسائلَ لم تُرسَلْ، ولم تُختَمْ، ولم تُعنونْ.

كتبت :

«يا مَن علّمتني أنَّ القلبَ ليس عضوًا فحسب، بل ذاكرةً
كيف أشفى منك، وأنتَ لا تتركني أبدأُ حتى في نسيانِك؟»

ثم أغلقت الصفحةَ

أدركت أنَّ بعضَ الكلماتِ، إن خرجت، لا تعودُ إلى داخلِنا، بل تتحوّلُ إلى غربةٍ.

في اليومِ التالي، وبينما كانت تستعدُّ للخروجِ، رنّ هاتفُها. رقمٌ غيرُ مسجَّلٍ، لكنَّه مألوفٌ.

ردّت بصوتٍ مبحوحٍ:

ـ «ألو؟»

جاءها صوتُه من بعيدٍ، كأنّه قادمٌ من ذاكرةٍ قديمةٍ:

ـ «نور، آسف لأنّي لم أتّصلْ منذ سافرتُ... لكنَّ صوتَكِ ظلَّ يرافقني أكثرَ من مرّةٍ في صمتي.»

سكتت

لم تكن تملكُ جوابًا ؛ فبعضُ الغياباتِ لا تُـبرَّر، وبعضُ الاشتياقاتِ لا تُغفر، لكنَّها تعيشُ فينا على أيِّ حالٍ

أجابت بصوتٍ خافتٍ، لا هو قبولٌ ولا هو رفضٌ

القلبُ لا ينسى... لكنَّه أيضًا لا يشفى بسرعةٍ

أُغلق الخطُّ، وظلّت تُحدّقُ في اللاشيءِ

هل تنتظرُه؟ أم تنتظرُ فقط تفسيرًا لعاطفةٍ جاءت في وقتٍ غيرِ

مناسبٍ؟

كانت تعلمُ أنَّ لقاءَه سيُعيدُ ترتيبَ الوجعِ... وربّما ترتيبَ الأملِ.

لكنَّها كانت جاهزةً.

جاهزةً لأن تسمعَ النبضَ مرّةً أخرى،

حتى لو كان ذلك هو آخرَ ما يسمحُ به قلبُها

اللقاءُ المؤجَّل

عاد الربيعُ يحمل معه دفئًا خافتًا، لا يشبه دفءَ الشمس، بل دفءَ الذكريات التي تطرقُ على القلبِ كأنّها تستأذن الدخولَ من جديدٍ

كانت «نور» تجلسُ على المقعدِ الخشبيِّ ذاته، قرب نافورةِ المستشفى، حيث كان أوّلَ لقاءٍ لهما. تُقلّب بين يديها كتابًا دون أن تقرأ، تتصفّحُ الصفحاتِ كأنّها تنتظرُ شيئًا يسقطُ من السماءِ

وفجأة، توقّف ظلٌّ عند طرفِ المقعدِ.

رفعت عينيها... فالتقيا

«هادي»

كان كما تركتْه، أو ربّما كما لم تتركه يومًا شعرُه أكثرُ شحوبًا، وعيناه أعمقُ حزنًا، لكن صوته لا يزال يحمل تلك النبرةَ التي تقتحم جدرانَ الروحِ دون استئذان:

«نور»

ردّت بهدوءٍ يخفي عاصفةً في داخلها:

أهلًا، دكتور هادي

جلس بجانبها دون أن يقترب كثيرًا بينهما صمتٌ لا يُترجم، كأنّ الأرواح تتحدّث بلغةٍ لا تُدوَّن في معاجمِ العتاب

قال:

كنتُ أريد أن أعتذر

نظرت إليه، لا بدهشةٍ، بل بثقلِ الوقتِ

عن ماذا ؟ الرحيل ؟ أم الصمت ؟ أم النسيان ؟

هزّ رأسَه

عن كلّ ما لم أكن أملك أن أشرحه... لم أرحل لأني أردتُ الرحيل، بل لأنني كنتُ أبحث عن معنى لما كنتُ أشعر به

ووجدتَ المعنى ؟

أبتسم ابتسامةً مكسورةً

وجدتُكِ في كلّ المعاني

نظرت بعيدًا، إلى الماء المتدفّق من النافورة، وهمست

أنا تغيّرت... لم أعد كما كنتُ

قال:

وما زلتِ أنتِ، أكثر ما افتقدتُ

طال الصمتُ

ثم سألها :

كيف حالكِ ؟ أعني... كيف حال القلب؟

ضحكت بمرارةٍ

يتنفّس، لكنه لا يعيش كلّ نبضةٍ فيه تذكّرني بك، لكنه لا يعترف لك بذلك

أخفض رأسَه، ثم قال «هل يمكنني أن أبدأ من جديد؟»

أجابت دون أن تنظر إليه

البداياتُ الجديدة لا تُمنَح، بل تُنتَزع بثمن هل تملك ما يكفي من النبض لتدفعه ؟

قال بصوتٍ حاسمٍ:

أنا هنا... وسأبقى مهما تأخّر العذر، فلن أسمح أن يتأخّر اللقاء مجددًا

نظرت إليه هذه المرّة، بعينٍ فيها شيءٌ من الماضي، وشيءٌ من الأمل، وشيءٌ من الخوف

حسنًا، لنبدأ... لكن لا تَعِدْ هذه المرة، فقط كُن

عندما تعود الدقّات

لم يكن اللقاءُ مجرّد لحظةٍ عابرة، بل بدا وكأنّ الحياة قرّرت أن تُعيد ترتيب أنفاسها بين نور و هادي

في اليوم التالي، جاءها يحمل وردًا أبيض، وابتسامةً يشوبها التردّد.

قال مبتسمًا :

أتعلمين ؟ لا يزال في القلب متّسعٌ لكِ

أخذتِ الوردَ دون أن تنظر إليه، وضعت الزهراتِ بين صفحاتِ كتابها كما كانت تفعل قديمًا

أرادت أن تقول شيئًا، لكنها تردّدت، وكأنّ الكلمات تحتاج إذنًا من قلبٍ ما زال يتلمّس طريقه بعد الغياب

أكمل هو بصوتٍ خافت :

أعرف أنّي تأخّرت، وأعرف أن وجودي الآن لا يكفي، لكنّي أتيتُ كي أُصلح، لا كي أُبرّر

نظرت إليه طويلًا، ثم قالت

أنا لم أكن أحتاج تبريرًا... كنتُ فقط أحتاجك

في تلك اللحظة، شعرت أنّ الغياب كان طويلًا بما يكفي ليُفسدَ البدايات، لكنه لم يكن أقوى من صوت القلب حين يتنفّس الصدق

سألته

هل تظنّ أنّ الحبَّ يعود؟

١٥

أجاب دون تردّد :

الحب لا يرحل أصلًا نحن فقط نضعه على الرفّ، ثم ننسى أنّه هناك

ضحكت بخفةٍ لأوّل مرة منذ شهور، وقالت :

جميلةٌ عبارتك... لكن، هل كلُّ ما يُنسى على الرفِّ يعود بنفس النبض؟

أجابها :

لا، بل يعود بنبضٍ أكثر نضجًا... وأكثر خوفًا من الفقد

ومنذ ذلك اليوم، صارت خطواتُ «هادي» مألوفةً في ممرّات المستشفى

لم يكن فقط طبيبًا يزور مريضةً سابقة، بل عاشقًا يحاول أن

يُرمّم قلبًا خُدش بفعل الانتظار

كانا يتبادلان الكتبَ، الصمتَ، النظراتِ، والموسيقى الخافتة التي تصدح من هاتفها كلَّ مساء

وفي كلِّ مرة كانت تقول:

أريد فقط أن أطمئنَّ أن القلب لا يزال يتنفّس

وكان يجيب دائمًا :

ما دمتِ هنا، فكلُّ شيءٍ ينبض

رسائلُ لا تصلُ

في مساءٍ رماديٍّ، جلست «نور» قرب النافذة، تحدّقُ في الغيمِ كأنّها تبحثُ فيه عن إجابةٍ لشيءٍ لم تُفصح عنه بعدُ

كان «هادي» قد تأخّر عن زيارته المعتادةِ، ولم تُخبره أنها تنتظره أكثرَ من المعتادِ.

فتحت دفترها، وبدأت تكتب رسالةً... رسالةً لا تنوي إرسالَها، بل فقط البوحَ بها

«هادي»

أتعلم؟

ثمّةُ لحظاتٍ أشعرُ فيها أنَّ قلبي لا يتنفّسُ إلا حين أراك

ومع هذا، أخاف

أخاف أن تُغادرَ مرّةً أخرى، أن تغيب قبل أن أقولَ لك كلّ ما أحمله لك من صمتٍ، وشوقٍ، وخوفٍ خفيٍّ.

لا أطلبُ شيئًا... سوى أن تبقى.

أغلقت الرسالة، ووضعتها بين صفحاتِ كتابٍ لم تنهه بعدُ

قالت في نفسها :

ما نكتبه ولا نرسله، هو ما نشعر به حقًّا

في الخارج، بدأت السماءُ تمطرُ

وفي اللحظة ذاتها، دخل «هادي» مبتلًا بعض الشيء، يحمل بيده مظلّةً، وبعينه شيءٌ من القلقِ.

تأخّرتُ، أليس كذلك؟

أجابت بابتسامةٍ صغيرةٍ :

«لكنّك جئت»

جلسَ قربها، وبدأ يسرد لها حكايةَ مريضٍ جديدٍ قابله صباحًا، كيف أنّه تذكّرها في ابتسامته، وفي صمته، وحتى في ضعفه

كانت تستمعُ إليه وكأنها تستنشقُ وجودَه، صوتُه كان بمثابة جهازِ تنفّسٍ اصطناعيٍّ لقلبٍ ما زال يتعلّمُ النبضَ من جديدٍ

«سألته فجأةً»

هل أخبرتَ أحدًا عنّي؟

توقّف، فكّر، ثم قال :

«لا... لأنّك لستِ قصةً تُروى، بل سرٌّ أحتفظُ به في قلبي»

في تلك الليلة، لم تكن «نور» بخيرٍ تمامًا

لكنّها نامت بهدوءٍ لم تعهده من قبل...

كأنّ قلبها وجد أخيرًا من يُشبهه في طريقةِ النبضِ، وفي طريقةِ الخوفِ من الوداعِ

ظلُّ الغيابِ

استيقظت «نور» صباحًا على صوتٍ هادئ، كانت والدتها تقرأ في غرفةِ الجلوسِ بعضَ الآياتِ، والضوءُ يتسلّلُ بخجلٍ من خلفِ الستائرِ الرماديةِ

نهضت «نـور» ببطءٍ، تنظرُ إلى المرآةِ كأنّها تفتّش عن ذاتٍ غادرتها منذ زمنٍ

كانت ملامحُها أنحفُ، وبشرتها شاحبةٌ بعضَ الشيءِ، ولكن في عينيها ظلُّ ضوءٍ لم يُطفأ بعدُ

في المستشفى، جلس «هـادي» يراجع ملفّها الطبيّ بعد آخرِ فحوصاتها

وحده يعلم أنّ الورمَ لا يستجيبُ للعلاجِ كما كانوا يأملون

كان المرضُ يتقدّم ببطءٍ، كضيفٍ ثقيلٍ لا يريد المغادرةَ.

ورغم ذلك، لم يخبرها بشيءٍ .

اختار أن يمنحها الأملَ، لا الحقائقَ .

دخل غرفتها حاملاً فنجانَ قهوةٍ وعلبةَ شوكولا من النوعِ الذي تحبّه .

«ابتسمت حين رأته «، وقالت :

هل جئت لتعطّل قلبي من كثرةِ الفرح ؟

ضحك وقال :

«بل جئتُ لأطمئنّ إن كان لا يزال يتنفّس»

ردّت هامسةً :

«هو لا يتنفّس... إلّا حين تكون قريبًا»

نظر إليها طويلً .

كان يعرف أنّ الكلمات، مهما كانت جميلةً، لا تقدر على إيقاف الألم...

لكنّها تخفّف عنه، كما تفعل القبلةُ على جرحِ طفلٍ

في مساء ذلك اليوم، وبينما كانت «نور»

تقرأ كتابًا على الشرفة، وصلتها رسالةٌ من رقمٍ غير مسجّل

أعلم أنّكِ تتظاهرين بالقوة... لكنني أراكِ كما أنتِ، كما تخفين، وكما تتمنّين لو تبكين بلا تفسير.

أنا هنا، حين يتعبكِ كلّ شيء

فقط اكتبي لي: (أنـا متعبة)... وسأجيء، حتى لو كنتِ لا تنتظرين أحدًا .

قرأت «نور» الرسالة عشرَ مرّاتٍ، ثمّ حدّقت في السماء، وقالت بصوتٍ لا يسمعه سواها :

«وهل هناك أجملُ من غريبٍ يعرفك أكثر من القريب؟

مرّ اليومُ ببطءٍ، وغاب «هادي» في موعدٍ آخرَ، اضطراريّ.

وفي قلبه ا، خُيّل لها أن الغياب يشبه الظلّ... لا يؤلم، لكنّه لا يتركِ أبدًا.

بين الأملِ والانتظارِ

كانت ليالي «نـور» مزيجًا من الصمتِ والحنينِ، تنتظرُ كلَّ مساءٍ أن يدقَّ هاتفها بنغمةٍ تذكّرها بأنّ هناك من يشاركها النبضَ والانتظارَ

الوقتُ يمرُّ ببطءٍ ثقيلٍ، لكنّ قلبها ظلّ ينبضُ بإصرارٍ، كأنّه يرفض أن يستسلم لظلّ الغيابِ

في إحدى جلسات العلاج، وقفت «نور» أمام المرآةِ، تحدّثت إلى نفسها بصوتٍ خافتٍ

هل يستطيع القلبُ أن ينسى ؟ أم أن النسيانَ هو موتٌ بطيءٌ؟

تذكرت كلماتَ «هادي» عندما قال:

الحبُّ لا يرحل، بل ينتظر في زاويةٍ مظلمةٍ من القلبِ

كانت تعيش بين ذلك الأملِ المتقدِّ وبين الألم الخفيِّ، تحاول أن تصنع من كلِّ لحظةٍ فرصةً للحياة، رغم كلِّ ما واجهته من صعوباتٍ

في إحدى زيارات «هادي»، جلسا في حديقةِ المستشفى، حيث زهورُ الربيع تملأ الأجواء بعطرها العذبِ

قال لها :

لن أتخلّى عنكِ، مهما طال الانتظارُ

ابتسمت «نور» وردّت

وأنا أيضًا لن أتخلّى عن قلبي... ولن أسمح له بأن يتوقّف عن التنفّس

في تلك اللحظة، كان النورُ في عينيها أقوى، ينبضُ بحياةٍ جديدةٍ رغم كلِّ الألم، كأنّ القلب يتنفسُ من جديدٍ، منبعثًا من رحم الألمِ إلى فضاءِ الأَملِ

صمتُ الكلماتِ

في غرفةِ العلاجِ، حيث تلتقي الأوجاعُ بصمتِ القلوبِ، جلست «نور» تحدّق في النافذةِ، تحاول أن تفهمَ لغةَ السماءِ الصامتةِ

كانت كلماتُها تُختزن في أعماقِها، كأنّها رغبةٌ في البوحِ لا تجد من يسمعها

مرّ «هادي» من جانبها، فشعر بهدوئها ووجعها الدفينِ

وقف بجانبها بهدوءٍ، وقال :

أحيانًا، يكون الصمتُ أبلغَ من الكلامِ

نظرت إليه بعينين تختلط فيهما دموعُ الصبرِ وخيوطُ الأملِ، ثم همست

ولكن الصمتَ يقتلني أحيانًا... ويجعلني أشعرُ بأنّي وحيدةٌ وسط زحامِ الحياةِ

مدّ يده برفقٍ، وأمسك يدها وقال

لن تكوني وحيدةً سأبقى معكِ، حتى تنطفئَ كلُّ ظلالِ الألمِ

ابتسمت «نـور» لأول مـرةٍ، وشعرت أنَّ قلبها الذي يكاد أن ينطفئَ، بدأ يتنفسُ من جديدٍ

أن هناك من يحمل لها أملًا يتجاوز كلَّ التعبِ وكلَّ الحزنِ

نبضُ الحياة

كانت «نور» تستيقظُ كلَّ صباحٍ بنبضٍ جديدٍ، ينبعُ من أعماقِها، رغم كلّ ما عانته

كانت تعرفُ أن الحياةَ ليست وعدًا بلا ألمٍ، لكنها تعلّمت أن تصنع من الألمِ بابًا للأملِ

جلس «هادي» إلى جانبها في إحدى جلسات العلاج، يمسكُ يدها برقةٍ ويقول

«كلُّ نبضةٍ في قلبكِ هي انتصارٌ صغيرٌ على الألِم، وكلُّ يومٍ تعيشينه هو شهادةٌ على الشجاعةِ»

ابتسمت «نور»، ورفعت عينيها نحو السماءِ التي تتسلّل منها أشعةُ الشمسِ، وشعرت بأن قلبها يتنفسُ حقًّا، ينبضُ بالحياةِ

قالت :

الحياةُ، رغم قسوتها، جميلةٌ، حين نتعلم كيف نتنفسُ بها بقلوبٍ مفتوحةٍ

كان هذا اليومُ بدايةَ فصلٍ جديدٍ في حياتهما، فصلٍ يملؤه الأملُ، الشجاعةُ، والحبُّ الذي يتنفسُ من القلبِ، لا من الكلماتِ فقط

خطواتٌ على طريقِ الضوء

لم تكن «نـور» تعرفُ أن الشفاءَ لا يعني فقط انتهاءَ الألمِ الجسديِّ

الشفاءُ الحقيقيُّ كان يحدثُ ببطءٍ، في لحظاتِ الصمتِ، في نُضجِ النظراتِ، وفي المعنى العميقِ الذي بدأت تفهمه للحياةِ

خرجت من آخرِ جلسةِ علاجٍ، لا تحملُ بيدها تقاريرَ طبيةً فقط، بل تحملُ قلبًا مختلفًا، ينبضُ بامتنانٍ لم تعرفه من قبلِ

عادت إلى بيتها، وكانت الشمسُ تملأ النوافذَ، وكأنّ الضوءَ اختار أن يكونَ ضيفها الأول في هذا اليومِ الجديدِ

جلست على الأريكةِ البيضاءِ، بجوارها دفترُها الذي ظلّ صامتًا لأيامٍ. فتحته،

وبدأت تكتب :

«أنا لا أكتب اليوم عن الألم... بل عن المعجزةِ التي تحدث حين نرفض أن نستسلم»

في تلك اللحظة، رنّ هاتفها كان الرقم محفوظًا منذ زمنٍ، لكن اسمه كان كافيًا ليوقظ قلبها

هادي :

«كيف حالكِ اليوم، يا أكثرَ من نجت «؟

ضحت بهدوءٍ وقالت :

«أنا لا أنجو فقط يا هادي، أنا أتعلمُ أن أعيش من جديد»

لم يكن الاتصالُ طويلًا، لكن كلماته بقيت في صدرها كأنّها وعدٌ

في المساء، قررت أن تخرج للمرةِ الأولى وحدها منذ أشهرَ

ارتـدت معطفًا رماديًا ناعمًا، وخرجت تمشي في الشارعِ، تراقب الوجوهَ، تشم رائحةَ الخبزِ من المخبزِ الصغيرِ، وتستمع إلى ضحكاتِ الأطفالِ وهي تملأ الزوايا.

وهناك، عند مفترقِ الطرقِ، رأت ملصقًا لإعلانٍ تطوعيٍّ في مركز دعم نفسي للمتعافين. توقفت، قرأت، وشعرت أن قلبها يوجّهها

دخلت المركز في اليوم التالي، وهناك، التقت بوجوهٍ تشبه وجهها قبل الشفاء.

وجوهٌ ترتجف بين الرجاءِ والخوفِ

قالت لهم :

أنا مثلكم، كنت هناك، في الظلِّ. واليوم، أتيتُ لأخبركم أن الضوءَ ليس بعيدًا

وفي الزاوية، كان «هادي» يراقب بصمتٍ، لم يخبرها أنّه يعمل هناك مرةً في الأسبوع، لكنه حضر ليراها تشرق

ابتسم، وهمس لنفسه :

«نور عادت... ولكنها الآن تُنير العالم»

مفترقُ الأرواح

مرّت أسابيعٌ، أصبحت خلالها «نور» وجهًا مألوفًا في مركز الدعم، وصوتُها بات أمانًا لكثيرين يبحثون عن بدايةٍ لم تعد تلك الفتاة التي تنزف صمتًا، بل امرأةً تشعُّ حضورًا، وتعرف أن العطاء هو طريقها الجديدُ

وفي مساءٍ خريفيٍّ هادئٍ، اجتمعت مع «هادي» في مقهى صغيرٍ قرب المركز

المكانُ يعجُّ برائحة القهوة وأغاني فيروز الخافتةِ، لكن العيون كانت تحكي بصمتٍ أكثر من الكلماتِ

«هادي، هل تظنّ أن الألم يخلقنا من جديد»؟

أجاب وهو ينظر إلى يديها اللتين لم تعدا ترتجفانِ :

«بل يعيد تشكيلنا... حتى نصبح كما كان يجب أن نكون دومًا»

ابتسمت، لكنها كانت تُخفي قلقًا

أخرجت من حقيبتها ظرفًا، وناولته إيّاه

فتح الظرف، وقرأ :

«قبولٌ في برنامج تدريبي دولي – باريس، ٦ أشهر»

نظر إليها بدهشة، ثم همس:

«هذا... رائعٌ، نور» !

قالتها بصوتٍ منخفضٍ :

«لكنه بعيد، وأخاف أن أبتعد عن كلّ ما بدأ يُزهر هنا... عنك»

ساد صمتٌ طويلٌ، فقط صوت الملعقة وهي تدور في كوب الشاي كان يملأ الفراغَ

أمسك يدها بهدوءٍ وقال :

«اذهبي، وعودي أقوى. من يحبك لا يطفئ نورك، بل يشعل لك الطريق «

لم تكن الكلمات سهلةً، لكنها كانت صادقةً

في تلك الليلة، عادت إلى المنزل، وجلست على سريرها تنظر إلى جوازِ سفرها، وتتأمّل الرحلةَ القادمةَ

لم تعد تخاف من الرحيل، لأن في قلبها يقينًا بأنها لن تهرب، بل ستمضي لتعود بشكل أجمل

وفي أسفل الصفحة الأخيرة من دفترها كتبت :

«الذين ينبتون من الألـم، لا يذبلون... بل يُـزهِـرون في كلّ الفصول»

أوراقُ باريس

وصلت «نـور» إلى باريسَ في صباحٍ بـاردٍ من كانون الأول، والضبابُ يغازلُ نوافذَ الطائرةِ كأنّه يُحاولُ إخفاءَ ملامحَ البدايةِ.

خرجت تحملُ حقيبةً صغيرةً، وقلبًا يضجّ بالأسئلةِ

كانت شوارعُ المدينةِ غريبةً، لكنّ روحها لم تشعر بالغربةِ... كانت تعرفُ أنّها جاءت لتكتشفَ جزءًا من ذاتها لم يُكتب بعدُ

في المعهدِ الـذي التحقت به، اجتمعت بعقولٍ من مختلف الثقافاتِ، لكنّ ما لفت انتباهها كان شابًا عربيًا يدعى «آدم»، عازفَ بيانو، يحمل في عينيه شرودَ الموجِ، وكأنّه يعيش بين وترين؛ الحنينِ والانفصالِ

في أول لقاءٍ بينهما، سألها :

«أتحبين الموسيقى»؟

أجابت ببساطة :

«أحبّ الصمتَ الذي يتنكر في لحنٍ»

ابتسم، وقال :

«إذًا ستفهمينني»

مرّت الأيامُ، وبدأت «نور» تتعلّم أكثر من مجرد منهجٍ أكاديميّ؛ تعلّمت كيف تصغي إلى اختلافها، كيف ترى العالم بعينٍ جديدةٍ، وكيف تكتب من أعماقها دون خوفٍ.

وفي إحدى ليالي الشتاء، دُعيت لحضور حفلِ عزفٍ لـ«آدم»

كان المسرح صغيرًا، لكنّ النورَ المنبعثَ من البيانو كان كافيًا ليملأ فراغها

وبين نغمةٍ وأخرى، شعرت أن الموسيقى لا تُعزف، بل تُهمس باسمها

بعد انتهاء الحفل، اقتربت منه وقالت :

«كنتَ تعزف شيئًا يشبهني... هل هذا ممكن «؟

قال بابتسامة :

«بل كنت أعزفك «

في تلك اللحظة، شعرت «نور» أن شيئًا غريبًا يُولد داخلها...

ليس حبًا، بل إحساسًا بأن قلبها لا يزال قادرًا على التوهّج

لكن رغم كل شيء... كانت هناك رسالةٌ لم تُكتب بعد

رسالةٌ كانت تنتظرها كل مساء، من الأردن... من «هادي»

فتحت بريدها ولم تجد شيئًا

ولأول مرة، خافت أن يكون الغياب لا يصنع الشوق... بل النسيان .

في غيابِ النور

في عمّان، كانت الحياة تسير ببطءٍ في عينَي «هـادي»، وكأنّ الوقتَ فقد ساعاته منذ لحظةِ وداع نور

لم يكن من أولئك الرجال الذين يبوحون، بل من الذين يخبّئون الحبَّ في الأفعالِ، ويكتبونه في الصبرِ

كلّ مساءٍ، كان يجلس في ذات المقهى الذي جمعهما، يطلب فنجان القهوة ذاته، ويفتح دفتر ملاحظاته الذي كانت «نور» تهديه كلماتها فيه

لكنه لم يُرسل أيّ رسالةٍ

لم يكن يعرف ما يقول

هل يقول لها إنّ غيابها ترك في قلبه مقعدًا فارغًا لا يجلس عليه أحد ؟

أم يعترف أنّه خائفٌ من أن تعودَ ولا يجده في المكان ذاته؟

في أحد الأيام، دقّ باب مركز الدعم النفسي فتاةٌ في العشرينات، ترتجف كأنّ الحياة ألقتها من أعلى الشكّ

استقبلها «هادي»، جلس معها كما كانت «نور» تجلس ذات يومٍ، وقال لها بهدوء

«كلنا جئنا من ضوءٍ مُنطفئ، لكنّ بعض الأرواح تعرف كيف تُضيء مرةً أخرى»

في تلك اللحظة، أدرك أنّه لم يفقد «نور»، بل صار يمتدّ من أثرها

لقد أصبحت جزءًا من رسالتها، حتّى لو كانت بعيدة

وفي باريس، كانت «نور» تجلس على شرفة شقّتها، تقرأ روايةً فرنسية، حين وصلها طردٌ من الأردن

فتحت الطرد، فوجدت دفترها القديم، ذلك الذي نسيت أنّها أهدته «هادي»

وفي الصفحة الأولى، كُتبت بخطّه جملةٌ واحدة

«الذين نحبّهم لا يغيبون... بل يتحوّلون إلى أوطان نُقيم فيها وإن ابتعدنا»

لم تكن رسالةً

كانت وطنًا من الكلمات

احتضنت الدفتر، وكتبت تحته :

«سأعود قريبًا... لكن هذه المرة لن أرحل ثانيةً»

حين تعود الفراشة

وصلت «نـور» إلى عمّان في مساءٍ شتويّ، والضبابُ يغطّي ملامحَ المدينةِ كما لو أنّها تخبّئ عنها مفاجأةً قديمةً

في المطار، لم يكن أحدٌ ينتظرها لم تُخبر أحدًا بموعدِ عودتها

كانت تريد أن تختبر الرجوعَ كما لو أنّها تعود إلى ذاتها، لا إلى الناسِ

في صباحِ اليوم التالي، وقفت أمام مركز العلاج الذي شهد أكثرَ لحظاته ألمًا ونموًا، تنظر إلى الباب وكأنّه بوابةُ زمنٍ آخر

دفعت الباب، فاستقبلها صمتٌ يعرفها

مرّت يداها على جدران الممرّ، حتى توقفت عند غرفة جلساتها القديمة

فتحت الباب، فوجدت «هـادي» هناك، كما تركته. لم يتغيّر شيءٌ

رفع نظره من دفاتره، وعيناه تسألان دون كلماتٍ.

قالت :

«أنا عدت»

لم يقم من مكانه، لم يهرع، لم يُدهش

بل قال بصوتٍ يشبه حضنًا :

«كنت أعلم أنك ستعودين... لم أتوقّف عن انتظارك»

في المساء، خرجا إلى ذات المقهى القديم، جلسا في نفس الطاولة

لكن هذه المرة، لم يكونا يهربان من شيءٍ

بل كانا يحتفلان بما بَنَته الغربة داخلهما من نضجٍ ووضوحٍ

قالت : «نور»، وهي تنظر إلى المدينة

«باريس علّمتني كيف أكون لنفسي، لكنّك كنت من علّمني كيف أسمح لأحدٍ أن يكون لي»

ابتسم، وأمسك يدها بلطفٍ :

«وهل تعلمين ؟ القلب الذي ينجو مرةً، يصبح أقوى ألفَ مرةٍ»

كانا يعرفان أن الطريق ليس سهلاً، لكنّهما كانا مستعدّين له

ولأول مرةٍ منذ سنوات، شعرت «نور» أنّها لا تحاول الهرب، بل تختار البقاء

حين ينبت الحنين

كانت «نور» تمشي في ممرّات المستشفى بخطى بطيئة، تحمل في يدها ملفًّا لمرضاها الجد د، وفي قلبها ملفًّا آخر... أثقل، وأعمق، لا تملك أن تغلقه

«» هادي غاب منذ أسابيع دون تفسير لا اتصال، لا رسالة، لا حتى ظلّ لكنّ قلبها كان يرفض تصديق الغياب، كأنّ هناك ما لم يُقال، كأنّ نبضه ما زال يهمس باسمها في الزوايا

دخلت إلى غرفة الطفل «سليم»، أحد مرضى جناح الأورام، وجلست عند طرف سريره ابتسم الطفل وقال :

«دكتورة نور، بتحبي القصص»؟

أجابت بابتسامة حنونة :

«كثير... خصوصًا لما يكون فيها أبطال شجعان مثلك»

همس الصغير:

«طيب، أنا بحب قصة عن دكتور بحب دكتورة، وبغيب عنها لأنه تعبان، بس بيرجع لأنه بيحبها كتير»

تجمدت عينا «نور»، كأنّ الكلمات خرجت من قلبها قبل أن يقولها سليم

خرجت من الغرفة ووقفت عند النافذة. كان الغروب يعانق المدينة، وظلال الشمس تغمرها بحنانٍ خفيف شعرت بأن شيئًا بداخلها ينكسر ببطء. ليس ألمًا، بل اشتياقٌ ناضج، حنينٌ راقٍ لا يُقال، لكنه يُوجع

في تلك اللحظة، رنّ هاتفها كان الرقم غير مسجل ترددت، ثم أجابت

الصوت من الطرف الآخر همس، كأنّه يُعاد من زمن بعيد

«نور... أنا آسف»

توقف الزمن في عروقها ذلك الصوت، رغم ضعفه، لم يكن غريبًا. كان نبضها يعرفه أكثر مما تعرف الكلمات

همست، بصوتٍ مرتجف :

«هادي؟»

أجاب :

«كنت لازم أبتعد... ما كنت قوي كفاية لأشرح... لكن كل يوم، كل لحظة، كان اسمك هو اللي بيخليني أتنفس»

سقطت دمعة على خدها بصمت، وهمست :

«كنت عم بعالج الكل، وما كنت عارفة كيف أعالج غيابك»

قال :

«أنا بتعالج... وبوعدك أرجع مشان أبدأ معك، مش من حيث انتهينا، بل من حيث نتنفس»

انتهت المكالمة، لكن قلبها لم يُقفل بل فُتح من جديد على احتمالاتٍ أخرى، أوسع من الألم، أصدق من الانتظار

«نور» لم تكن مجرّد طبيبة، كانت إنسانة تتعلّم كيف تُضمد قلبها، وتؤمن بأن الحب الحقيقي لا يغيب، بل يعود حين يُشفى

حين يبتسم الغياب

لم تكن «نور» تعلم أن لصوتٍ واحد القدرة على إيقاظ كلّ ما نام في أعماقها. منذ تلك المكالمة، بات الليل أقرب إلى الحلم، والحلم أقرب إلى الحقيقة

في اليوم التالي، جلست على شرفة منزلها في المساء، تحت سماء تشتعل بلون الغروب كانت تقرأ كتابًا طبيًّا، لكن عيناها لم تلتقطا حرفًا. عقلها ظلّ يكرر جملة هادي :

«بوعدك أرجع مشان أبدأ معك، مش من حيث انتهينا، بل من حيث نتنفس.»

في قلبها، كانت تهمس :

«وأنا سأنتظرك من حيث تركتني الحياة... لا من حيث تركتني.»

في المستشفى، كانت تشعر بخفة لا تعرف لها اسمًا كأنّ حزنًا عتيقًا أُزيح عن كتفيها كلّ مريض تقابله، كانت ترى فيه جزءًا من رحلة شفائها

و«سليم» أصبح يطلب منها حكاية كل مساء قبل أن ينام

كانت تقول له :

راح أحكيلك اليوم عن ملاك كان عنده جناح واحد... بس يومًا ما، إجا أحد، وعلمه كيف يطير بجناحين من الأمل والمحبة

في مساءٍ لاحق، أرسل «هادي» رسالة قصيرة

«نتقابل الجمعة... المكان نفسه، الساعة السادسة»

كأنّ كلّ شيء في العالم توقف حين قرأت كلماته ذاك المقهى الصغير، حيث التقيا أول مرة، عاد ليكون مسرح اللقاء

وصلت قبل الموعد بعشرين دقيقة جلست في الزاوية ذاتها، ترتجف أنفاسها

المكان لم يتغير، لكن الزمن تغيّر داخلها

حين دخل «هادي»، بدا مختلفًا أكثر نضجًا، أكثر صمتًا اقترب ببطء، وجلَس أمامها دون أن يقول شيئًا

هي من بادرت هذه المرة، همست بصوت خافت :

«اشتقتلك»

أجاب بهدوء :

«وأنا... ما غِبت إلّا لأنّي كنت ببحث عنّي، عشان أعرف كيف أرجعلك وأنا كامل»

سألته :

«وين رحت»؟

تنهد، ونظر إلى يديها المضمومتين فوق الطاولة

«كنت مريضًا، جسديًا ونفسيًا اكتشفت عندي مشكلة بالقلب، ومشكلتي الأكبر، إني كنت بخاف أخسرك، إذا عرفتِ»

قالت بابتسامة فيها وجع ودهشة

«خفت تخسرني فقررت تخسرني»؟

أومأ بصمت

لكنها مدت يدها، ولمست يده، كما كان يفعل معها في كل جلسة علاج

«القلب الذي يتعب ما يضعف، يصير أكثر صدقًا وأنا ما بدي حدا قوي، بدي حدا صادق»

دمعت عيناه، وقال :

«هلأ بس عرفت... إنك شجعتيني أرجع أعيش»

همست :

«تعال نبدأ، لا من أول، ولا من آخر... من اللحظة هاي»

في تلك اللحظة، لم تكن الكلمات هي من جمعت بين قلبيهما، بل الصمت

ظلّ العناق

مرت أيام قليلة على لقائهما، لكنّ كلّ يوم كان كأنّه شتاءٌ دافئ في قلبِ الاثنين

لم تكن «نور» بحاجة إلى تأكيد أن الحياة تغيّرت، فقد أصبحت النبضات أوضح، والمشاعر أكثر نضجًا

هادي لم يعد مجرد اسم عابر في ماضيها، بل صار حضورًا حقيقيًّا يتنفس معها

زارها ذات مساء في المستشفى، دون موعد

دخل بهدوء، حاملاً باقة زهور بيضاء، ووضعها أمامها دون أن يتكلم

رفعت نظرها إليه، وقالت :

«كل مرة بتفاجئني، كأنك أول مرة بتدخل حياتي»

أجاب مبتسمًا :

«وكل مرة بشوفك، بحسّ إني وصلت المكان اللي كنت أضيع عنه طول الوقت»

ثم جلس بجانبها وقال :

«نور... بدي أطلب منك شي مهم»

ارتجف قلبها نظرت إليه بعينين متسائلتين، لكنه أكمل بثقة

«مش وعـد، ومش اعـتراف بدي نعيش مع بعض، مش بس نكمل نكتب الحكاية من أولها، وننسى شو خلّى قلوبنا تبكي»

لحظة صمت، كانت عيناها تلمعان، وكأنها تسمع نبض الحياة من جديد

قالت :

«أنا جاهزة. مو لأنك رجعت... بل لأنك رجعت كما يجب»

أمسك يدها، وقال :

«بكرا؟ نروح نزور البحر؟ بدي أحكيلك هناك عن كل شيء ما قلتلك إياه»

في اليوم التالي، وقفا أمام البحر، والشمس تغرق في الأفق

كانت «نور» تركض حافية القدمين على الرمل، تضحك كطفلة تكتشف العالم لأول مرة

أما هو، فكان ينظر إليها بدهشة...

كأنها أجمل مفاجأة صنعتها الحياة من بعد سنوات العتمة

حين جلست إلى جانبه، سألته :

«شو كنت رح تحكيلي» ؟

أخرج من جيبه دفتراً صغيرًا، مهترئًا من الحبر والانتظار

«هذ الدفتر... كنت أكتب فيه كل شيء عنك، لما غبت»

قلبت صفحاته، فوجدت رسائل لم ترسل، واعتذارات لم تُقل، وأحلام نُسيت لكنها لم تمت

قرأ لها بصوت مرتجف :

«» نور... أنا ما بعرف كيف تكون الحياة بلاكِ، بس كنت عم جرّب أعرف كيف أرجعلك وأنا أستحقك

بكت

بكت بفرح، وبكاءها هذه المرة لم يكن خيبة، بل امتلاء

ثم عانقته

عناق طويل، صامت، فيه كل ما لم يُقل

وفي تلك اللحظة، لم يعد البحر شاهدًا على فُرقةٍ أو دمعةٍ قديمة، بل كان شاهدًا على ولادة حبّ جديد...

حين يكتب القلب

مرّت أيام، ثم أسابيع، وكانت «نور» تعيش كما لو أن قلبها قد قرّر أخيرًا أن يكتب سطره الأول، لا الأخير

لم تعد تراقب الساعات بقلق، ولم تعد تحصي عدد المواعيد الطبية أو ترتّب الخوف تحت وسادتها

كانت تضحك، تكتب، ترسم، وتعيش

أما «هادي»، فكان قد تحوّل من زائر مؤقت إلى سكن دائم في روحها

لم يكن يملي عليها كيف تعيش، بل كان يفسح لها الطريق كي تختار الحياة بطريقتها

ذات صباح، فتحت عينيها على رسالة منه وُضعت عند عتبة بابها :

«هل تقبلين أن نكتب الحكاية معًا، في بيتٍ نبدأه سطرًا بسطر؟»

كان الخط يشبهه... صادقًا وبسيطًا

ابتسمت، وردّت بخط يدها المرتجف :

«أقبل... لأن البيت الذي يُبنى على نبض القلب لا يهدمه الوقت»

في مساء الجمعة، اجتمعا في منزل صغير تطل نوافذه على شجرة ياسمين

أحضرت نور لوحاتها، دفاترها، ألوانها، وعلّقتها في كل مكان

أما هادي، فملأ الرفوف بكتب الطب والموسيقى والقصص القديمة التي كانت تضحكها

قالت له وهي تنظر للمكان :

«بيتنا مش كبير، بس بيكفي قلبينا»

ردّ وهو يشعل شمعة على الطاولة

«وأنا ما بدي قصر... بدي حضن يحتوي خوفك وضحكتك، ويكون كافي لكل تفاصيلك «

مرّت الليالي، وأصبحا يتشاركان تفاصيل الحياة،

من أصغر الأمور كإعداد القهوة، حتى أصعب الليالي حين تتألم «نور» فجأة، ويكون هو أول من يُمسك يدها ويقول :

«أنا هون، وما رح أترك»

في أحد الأيام، تلقت «نور» اتصالًا من دار نشر كانت قد أرسلت لهم فصولًا من يومياتها

قالوا :

« نودّ أن ننشر كتابك، لأنكِ كتبتِ عن الألم كما لو كان بداية لا نهاية. وهذا ما نحتاجه»

أغلقت الهاتف، ركضت إلى «هادي»، ورمت نفسها في حضنه

قالت باكية :

«كنت أكتب لأتجاوز... لكن يبدو أنني كتبت لأبقى»

همس لها :

«لأنكِ نور... تكتبين ليعيش الآخرون»

وفي اليوم الذي صدر فيه كتابها بعنوان «حين يتنفس القلب»

وُضع على الرفّ بجانب أعمال كتّاب كبار، لكنه وحده حمل بين صفحاته حياة كاملة ...

«حياة نور ونبضها»

سطور لا تنتهي

كان ضوء الصباح يتسلل إلى غرفةٍ تنبعث منها رائحة قهوة دافئة وصوت ورق يُقلب بحذر

جلست «نور» على شرفتها، وكتابها في حجرها، تقرأه كما لو كانت تقرأ قلبها للمرة الأولى

لم تصدق أن تلك الكلمات خرجت منها ذات مساء، حين كانت تبكي دون صوت، وتكتب دون أمل

كل صفحة تحمل دمعةً قديمة، ونبضةً جديدة، وسطرًا كُتب بيدٍ مرتجفة وقلبٍ يتوق للنجاة

دخل «هادي» يحمل فطورًا بسيطًا، وقال :

«كلما قرأتك، عرفت كم أنا محظوظ... مش لأنك نجوتِ، بل لأنكِ اخترتِني لأشاركك الحياة بعد النجاة»

ابتسمت، ومسحت على يده :

«الحب مو وقت الراحة، الحب هو وقت التعب... ولأنك كنت هناك، صرت أعرف الفرق»

في ذات الأسبوع، تلقت «نور» دعوةً من مكتبة كبرى في العاصمة لتوقيع كتابها

لم تكن تصدق أنها ستقف أمام جمهور، لا لتروي ألمها، بل لتروي كيف تخطَّته

كانت ترتدي ثوبًا بسيطًا أبيض، وعيناها تلمعان بنورٍ خافت لكنه عميق

وحين صعدت إلى المنصة، قالت :

«أنا ما جئت أحكي قصة ألم ... جئت أحكي عن القلب الذي اختار أن يعيش، حتى لو تكسر»

جئت أقول : في ناس بتتعافى، مو لأنها قوية، بل لأنها حبت الحياة رغم كل شيء»

بعد التوقيع، اقتربت منها فتاة شابة، وعيناها مغرورقتان

«أنا كنت على وشك الاستسلام، بس لما قرأتك، حسّيت إن قلبي لسه فيه فرصة يتنفس»

حضنتها «نور» بقوة، وقالت:

«لا تستسلمي... القصة ما بتنتهي لما نضعف، بتنتهي بس لما نكفّ عن المحاولة»

في المساء، جلسا على سطح المنزل الصغير، يتأملان المدينة المضيئة

قالت «نور» له :

«كنا نظن أن الحياة تنتهي عند نقطة... بس الحياة مثل السطر، تنقطع، وترجع تكمل بجملة جديدة»

ردّ وهو ينظر إلى وجهها :

«وأنتِ صرتِ الجملة الجديدة في حياتي كلها»

ضحكت، ووضعت رأسها على كتفه، وهمست :

«وأنت النهاية التي ما بتخلص»

لم تعد «نور» تكتب خوفًا، بل حبًا

ولم تعد تنام على همّ، بل على حلم

لقد كانت قصتها لا تشبه أحدًا... لكنها كانت كافية لتوقظ ألف قلب، وتهمس فيه :

«ما دامت الروح تتنفس، فثمة حياة، وثمة حب ينتظر أن يُكتب»

الغريب الذي يشبهني

مرّت أسابيع على توقيع الكتاب، و«نور» باتت تتلقى رسائل من قرّاء في أماكن لم تطأها قدماها

كانت تقرأ كل رسالة كما لو أنها قطعة من قلب جديد يقترب منها، وفي كل مرة كانت تشعر أن ما كتبته لم يذهب سُدى

في أحد الأيام، وبينما كانت تراجع بريدها الإلكتروني، وجدت رسالة مختلفة

كان عنوانها :

«وجدتني فيكِ»

فتحتها بتردد، وقرأت :

لا أعرف كيف أبدأ... لكن حين قرأتك، شعرت أنكِ تكتبينني، لا تكتبين نفسك

كل جرح قلته، عشته... كل تنهيدة سطر، سمعتها قبلك

أنا لا أطلب شيئًا، فقط أردت أن أخبرك أن هناك من يشبهك،

ويظن أنك تنقذينه دون أن تدري

لو أردتِ أن تسمعي قصتي، فأنا مستعد...

التوقيع : رجل نجى

أغلقت الشاشة، وبقيت تحدق في اللاشيء

كان هناك ارتجاف خفيف في أصابعها، ليس خوفًا، بل دهشة...

هل من الممكن أن تشبهنا أرواحٌ لا نعرفها ؟ وهل اللقاء أحيانًا يحدث قبل أن نلتقي ؟

حكت لـ «هادي» عن الرسالة، وكان ردّه صافيًا كعادته :

«في ناس الله يبعثهم على شكل صدى... يردّون صوتك عشان تعرفي إنك مش وحيدة»

ابتسمت، وقالت :

«بس الغريب هـذا... حسيته ما كان يكتب بيده، كان يكتب بقلبه»

قال لها :

«وإنتِ من الناس اللي تفهم اللغة دي»

لم ترد عليه لكنها كتبت خاطرة بعد منتصف الليل :

«في مكانٍ ما... هناك من يشبه وجعي، ويسير في ذات العتمة

لكنّه، مثل النور، يلمع دون أن يدري»

الغريب الذي يشبهني... لعلنا نلتقي يومًا، لا لنعيد الحكاية، بل لنختمها بابتسامة لا تشبه البكاء

رسائل لا تصل

بدأت الرسائل تتوالى من الغريب

لم يكن يكتب كثيرًا، لكنه كان يكتب بصدق... كل حرفٍ ينزف من بين سطوره دون استئذان

وكانت «نور» تقرأ، وتحتفظ...

لا ترد، ولا تمحو، فقط تترك الكلمات تسكنها كما تشاء

في إحدى الليالي كتب :

هل جرّبتِ أن تصرخي بصمت؟

أنا أفعل ذلك كل ليلة، منذ أن فقدت نفسي ذات حزن...

كل الذين حولي لا يسمعون، وأحيانًا، لا ألومهم...

«كيف يسمع الآخرون شيئًا لا يُقال»؟

تنهّدت «نور»، وكتبت في دفترها :

«ليس كل الصراخ يحتاج صوتًا، بعضه يكفي أن يمرّ على ورقٍ حيّ، ليتحوّل إلى إنسان»

كانت تمضي الأيام، وتزداد الرسائل قربًا دون أن يعرف أحدهما الآخر

لا أسماء، لا صور، فقط أرواحٌ تتعانق في المسافة

إلى أن أرسل ذات مرة :

كنتُ في توقيع كتابكِ الأخير، لم أُلقِ التحية، لكنني كنت هناك

رأيتك تبتسمين، وقلت في نفسي :

كيف لإنسانةٍ عاشت كل هذا الألم أن تضحك بهذا النور؟

ربما كنتِ أقوى من الخسارات... أو لعلكِ فقط قررتِ أن لا تخسري نفسك

ارتجفت أصابع نور

إذًا هو لم يكن بعيدًا كما ظنت...

كان قريبًا حدّ أنفاسها، لكن خلف حاجز الصمت

سألت «هادي» وهي تريه بعض الرسائل

ليش لما نكتب لبعضنا نشفى، حتى لو ما التقينا ؟

أجابها بهدوء:

«لأن الكلام لما يُقال للغريب، ما يحمل خجلًا... وما يحمل خوفًا من حُكم»

الغريب مش مطالب يفهمك... بس ممكن يصدّقك وهذا يكفي

قررت «نور» أن تكتب له أخيرًا، لا ردًا، بل امتدادًا

وكتبت :

لا أدري من أنت، ولا كيف وجدتني،

لكنني عرفت من كلماتك أن قلبك يشبه نافذةً مفتوحةً على البحر

أكتب لي متى شئت...

ولا تخبرني باسمك

يكفيني أنك عرفتني من بين الحروف، وأنا عرفتك من وجعي

ثم أغلقت الشاشة...

وهمست لنفسها :

«بعض اللقاءات لا تحتاج موعدًا»

تكفيها رسالة واحدة، تصلك من غريب، في الوقت الذي نسيت فيه كيف يُكتب الشعور

في اليوم التالي، جاءت رسالة ثانية منه

أعرف أنكِ قرأتِ رسالتي... لم أكن أنتظر ردًا، لكني كتبت ثانية

أكتب لأني اكتشفت أن الكتابة تشبه الشفاء، تمامًا كما قلتِ

أنا لا أطلب لقاءً، فقط دعيني أكتب لكِ، كأنني أكتب لنفسي التي لم تُشفى بعد

شعرت «نور» بشيء غريب... مزيج من حنين لم تعرفه، واهتزازٍ داخلي لا يشبه حبًّا، بل يشبه اعترافًا غير منطوق

لأول مرة منذ زمن، شعرت أن هناك شخصًا على الطرف الآخر...

لا يراك كقصة حزينة، بل كمرآة ناصعة يرى فيها شتاته

الغريب الذي يشبهني

في صباحٍ رماديٍّ خفيفِ الضوء، جلست «نور» في مقهى هادئٍ لم تكن تزوره من قبل

ربما ساقها إليه شعورٌ غامض، أو ربما كانت تبحث عن ذلك الفراغ الذي يشبهها

جلست قرب نافذةٍ تطلّ على شجرة زيتون،

وطلبت قهوتها كما تحب «: مُرّة... لكن دافئة»

وفتحت دفترها، وبدأت تكتب :

أحيانًا لا نحتاج وجوهًا، بل أرواحًا تمشي معنا داخل السطور

صارت رسائلك يا غريب، مأوى لي حين تضيق الدنيا

وبينما كانت تكتب، سمعت صوتًا هادئًا يسأل النادل

فنجان قهوة، مُرّة... ودافئة

تجمّدت للحظة

رفعت عينيها ببطء، ونظرت حولها

لم يكن في المقهى سوى رجلٍ واحد، يجلس على الطاولة

المقابلة، يضع دفترًا مفتوحًا أمامه

كأن الحياة أرادت أن تختبر قلبها...

هل يمكن للحروف أن تلبس جسدًا فجأة ؟

راقبته من طرف عينها

كان يكتب بخطٍّ يشبه الألم الجميل...

وكأن كلماته ليست على الورق فقط، بل على أطراف أصابعه

نهضت فجأة

اقتربت من طاولته، وبلطف قالت :

«أيمكنني أن أجلس»؟

رفع رأسه، فاجأه صوتها، لكنه ابتسم بارتباك وقال :

«طبعًا... تفضّلي»

جلست... ولم تقل شيئًا في البداية

ثم وضعت دفترها أمامه، مفتوحًا على الصفحة الأخيرة التي كتبت فيها

قرأها بعينين ذاهلتين... ثم نظر إليها طويلاً

قال بهدوء :

«كنت أظن أنني أكتب لكِ وحدي»

أجابت، وعيناها تلمعان :

«ولم أكن أدري أنني أبحث عنك بين السطور»

لم يتبادلا أسماءً...

لم يطلب منها رقمًا، ولم تعده بلقاءٍ آخر

لكنها حين غادرت، تركت دفترها على طاولته، مفتوحًا على الصفحة الأخيرة

وكتبت بخطٍّ صغيرٍ أسفل الصفحة :

حين يتنفس القلب... يعرف صاحبه

لا حاجة للتعارف، ما دام الحرف قد دلّ الطريق

حين يكتبنا اللقاء

لم تستطع «نور» النومَ تلك الليلة

كلما أغلقت عينيها، لاح لها وجهه... لا ملامحه، بل حضوره، ذلك الهدوء الذي يشبه موسيقى بلا لحن، ودفئًا بلا كلمات

لم تكن تعرف اسمه،

لكنها كانت تعرف صوته، ونبض فنجانه، وطريقة انحناء كتفيه حين يقرأ

صباحَ اليوم التالي، عادت إلى المقهى

لم يكن هناك

سألت النادل :

«الرجل الذي كان هنا أمس، هل تعرف اسمه»؟

ابتسم النادل وأجاب :

«لا... لكنه ترك لكِ شيئًا»

ناولها ظرفًا صغيرًا أبيض، عليه حرفان : ن.ر

فتحته ببطء، وقرأت :

نور...

لم أجرؤ على طلب اسمك

لكني عرفت أنني كنت أكتبه منذ سنين، دون أن أعلم

كل نصٍّ كتبته كنتِ فيه، وكل صمتٍ كنتِ صوته

تركتِ لي دفترك، فشعرت كأنك تركتِ لي قلبك

إن كان هذا وعدًا بلقاء، فأنا على العهد

وإن كان وداعًا، فليكن أجمل الوداعات، تلك التي تكتبنا بدل أن تقتلنا

شعرت بدفءٍ غريبٍ يتسلّل إلى صدرها

لأول مرة منذ شهور، ابتسمت من دون أن تفكّر بالألم

لأول مرة، شعرت بأن هناك من يكتبها... دون أن يغيّرها

خرجت من المقهى تمشي ببطء، تقرأ الرسالة من جديد

وحين وصلت إلى زاوية الشارع، وجدت فتى يبيع الورد، يحمل باقة من زهور البنفسج، يلوّح بها نحوها

قال لها :

«هذا لكِ، تركه رجل صباحًا وقال: ستأتي امرأة تشبه الضوء... أعطِها هذا»

أخذت الزهور

وجدت بينها بطاقة صغيرة، مكتوب فيها :

«في الغد، الساعة العاشرة صباحًا... سأنتظر عند شجرة الزيتون»

إن لم تأتي، سأفهم أنك أتيتِ بما يكفي

موعد تحت الزيتون

لم تنم «نور» تلك الليلة أيضًا، لكنها لم تبكِ

كانت تتأمل البنفسج على طاولتها، وتفكّر بلونه الذي يشبه الحنين حين يخجل

وضعت البطاقة بجوار الوسادة، كأنها تحفظها في ذاكرة قلبها، لا عقلها

في صباح اليوم التالي، ارتدت فستانًا أبيض بسيطًا

سرّحت شعرها كما تفعل في أيامها العادية، دون تكلّف، لكنها أضافت وردة صغيرة في طرفه... بنفسجية

خرجت بخطوات ثابتة نحو المكان

كانت الشجرة تقف هناك كما في ذاكرتها : ضخمة، صامتة، شاهدة على ألف حكاية

لم يكن هناك أحد

نظرت إلى ساعتها... العاشرةَ إلا دقيقتين

جلست على المقعد الخشبي المقابل للشجرة، تضع حقيبتها

في حضنها، وتحاول أن تهدّئ نبضها الذي سبقها

مرّت دقيقة... ثم أخرى

وفي الدقيقة الثالثة، سمعَت خُطى

رفعت رأسها، فوجدته

كان يسير ببطء، كمن لا يريد أن يوقظ الأرض تحت قدميه، يحمل في يده دفترًا أسود اللون، ونظراته تمشي نحوها كما تمشي القصائد في الدفاتر العتيقة

جلس إلى جانبها لم يتكلّما

كل شيء كان يكتبهما دون حاجة إلى حروف

ثم قال بصوتٍ خافت :

«لم أتخيّل أنك ستأتين»

أجابته :

«ولم أتخيّل أن أحدًا سيكتبني دون أن يُشبهني»

أخرج الدفتر وفتحه

ورقة بيضاء

ناولها القلم وقال :

نكتب «؟»

أخذت القلم، وفي صمت اللحظة، رسمت أوّل كلمة :

«نَحنُ»

ابتسم، ثم كتب تحتها :

«حين يُشفى القلب بالحبر، لا نحتاج إلى علاج»

هكذا بدأت فصلًا جديدًا من الحكاية

لم يكن هناك وعود، ولا شروط،

فقط مساحة بيضاء بين اثنين يعرفان أن اللقاء الحقيقي... لا يحتاج إلى شرح

بساتين الصمت

مرّ أسبوعٌ منذ لقائهما تحت الشجرة، لكنّه بدا لها أطول من عام

كانت «نور» تشعر أن شيئًا تغيّر... لا فيه، بل فيها

كأنّ الكلام الذي لم يُقَل بينهما، قد زُرِع في قلبها وأزهَر بهدوء

في أحد الصباحات، تلقت رسالة بخطّه :

هل تعتقدين أن الصمت قد يكتب رواية ؟

أم نحتاج أن نصرخ كي يفهمنا العالم ؟

أراكِ في بستان الياسمين عند المغيب

ذهبت

كانت السماء تميل إلى البرتقاليّ، والياسمين يتدلّى على الأسوار كأهداب حلم

حين لمحته، لم يُبادر بالكلام

أشار بيده إلى كرسيٍّ خشبي تحت شجرة سِدرٍ قديمة

جلست، وتبِعها

قال :

ـ «أنا لا أحب أن أكون بطل روايتك، أحب أن أكون هوامشها... المساحة التي تلجئين إليها حين تكتفين من ضجيج الحب.»

أجابته بنبرة هادئة :

«وأنا لا أبحث عن بطل، بل عن وطن»

تحدثا طويلًا، لا عن ماضيهما، بل عن كتبٍ قرآها، وموسيقى أحبّاها، وأمكنة يتمنيان زيارتها

وحين صمتا، لم يكن الصمت فراغًا، بل اكتمالًا

قال لها وهو يراقب ظلّها :

تعرفين... لا أحد في هذا العمر يستحق أن نحاول تغييره نحن لا نحبّ كي نُصلِح الآخر، بل لنمنحه مساحة ليكون نفسه بسلام

وقفت «نور»، ونظرت إلى البستان من حولها :

«هل تعتقد أننا نُشفى فعلًا ؟ أم فقط نتعلّم كيف نتنفّس بألمٍ أقل؟

قال وهو يقترب منها :

«أحيانًا... الشفاء لا يعني نسيان الألم، بل إيجاد من يجعل الألم أقلّ وحدة»

وفي تلك اللحظة، شعرت «نور» أن قلبها لم يُغلق أبدًا... بل كان ينتظر أحدًا يطرق عليه بلطف

كانت لا تزال تتعلّم كيف تحب من جديد... لكن هذه المرة، بلا خوف

حين يُزهر المسك في الطرقات

في صباحٍ دافئٍ من أوائل نيسان، استيقظت «نور» على صوت رسائل هاتفها، لكن رسالةً واحدةً جعلت قلبها يخفق :

في تمام الخامسة، سيكون بانتظارك شيءٌ لم يحدث من قبل، أو لعلّه كان يحدث، لكننا لم نكن ننتبه

لم ترد

لم تسأل

فقط تركت اليوم يمضي كأنه بداية كتابٍ جديد، لا تعرف عنوانه، لكنها واثقة أنه سيُدهشها

في تمام الخامسة، كانت تقف عند زاوية الطريق، ترتدي فستانًا أبيض يشبه الهدوء

ظهر «هـادي» من بعيد، لا يحمل وردة، بل يحمل صندوقًا خشبيًا صغيرًا

اقترب منها وقال :

«اليوم، لا أريد أن أكون ذلك الذي يسأل، بل الذي يقدّم»

قدّم لها الصندوق، ففتحته

كان في داخله دفترٌ قديم الطراز، من الجلد، وفي صفحته الأولى:

إلى من تنفّست الحياةُ في قلبي،

اكتبي كل ما تريدين،

«فصفحاتي بيضاء، لا تحكمها نهاياتٌ مسبقة»

ضحكت «نور» ضحكةً صافية كنسيم الجبال، ثم قالت :

«أتظن أني ما زلت أعرف كيف أكتب»؟

ردّ :

«أنتِ لا تكتبين، أنتِ تنقشين نبضك على الورق»

سارا معًا في شوارع المدينة القديمة، حيث الحجارة تحفظ حكايات العاشقين، وكان المسك ينبعث من خطواتها

لم تكن تعرف إن كانت تحبّه، أو فقط تحب كيف يجعلها تشعر بأنها على قيد الحياة

لكنها كانت تعرف شيئًا واحدًا :

أنها لم تعد تخاف من الغد

قال لها حين وصلا إلى الزقاق الذي تنبت فيه زهرةٌ نادرة لا تنمو إلا في نيسان

بعض القلوب لا تحتاج إلى وعد، فقط تحتاج إلى من يمكث دون أن يُربك نبضها»

قالت :

«وبعض النساء لا يحتجن وردًا، فقط من يُفسح لهنّ مكانًا يتنفسن فيه كما هنّ»

ابتسم، ولم يُجِب

وفي تلك اللحظة، عرفت «نور» أنها لا تسير نحو نهاية، بل نحو بدايةٍ لم تكن تجرؤ أن تحلم بها ذات وجع

ما لا يُقال

كانت «نـور» تجلس على شرفة غرفتها، تحدّق في السماء بصمتٍ يشبه صلاةً سرّية

في يدها كوبُ قهوةٍ دافئ، وفي قلبها أسئلةٌ لم تعد تنتظر لها أجوبة

هل نضجت ؟

أم أن الحياة فقط أنهكتها حتى تخلّت عن اللهفة ؟

في الأسفل، كان «هادي» ينتظرها بسيارته، يلوّح بابتسامةٍ من خلف الزجاج

لم يكن موعدًا غراميًا، بل يومًا عاديًا اختاراه ليكون استراحةً بين نبضين

ركبت السيارة دون أن تسأل عن الوجهة

نظر إليها وقال :

«أريد أن أريكِ شيئًا... لا يشبه أي مكانٍ ذهبتِ إليه من قبل»

وصلا إلى منزلٍ صغيرٍ وسط الحقول، تغزله الكروم وتلفّه أشجار الزيتون

كان هادئًا... بطريقةٍ تخترق الداخل دون استئذان

قال :

«اشتريتُ هذا المكان، لا لأهرب... بل لأبدأ»

سألته، بعينين مبلّلتين :

«تبدأ ماذا»؟

ردّ وهو يفتح الباب :

«حياةً لا تهرب من شيء... ولا تُلاحق شيئًا، فقط تعيش»

في الداخل، كان كل شيءٍ بسيطًا : مكتبةٌ صغيرة، أرائك فاتحة اللون، وستائر شفافة ترقص على أنغام النسيم

وعلى أحد الجدران، مكانٌ صغير كُتِب عليه بخطٍّ مائل

هنا تُنسى الحروب... وتُغفر الأخطاء

جلست «نور» على الأرض، وأسندت ظهرها إلى الجدار

شعرت بشيءٍ غريب... كأن الأرض تناديها لتخلع عنها أثقال المدن، وخيبات الماضي، وسؤال: ماذا بعد؟

قالت :

«هل يمكن للإنسان أن يبدأ فعلًا... بعد كل الذي كان»؟

اقترب منها، جلس بجوارها، وضع يده على يدها، وقال:

«البداية لا تحتاج إلى نسيان... فقط إلى قرار»

في تلك اللحظة، لم يكن بينهما اعترافٌ ولا وعد

لا حبٌّ يُقال، ولا ألمٌ يُستعرض

بل فقط صمتٌ مشترك... كأنهما اتفقا على أن يكون كل شيءٍ بينهما طبيعيًا، دون بطولة، دون مجاز

في آخر اليوم، قبل أن تعود، كتبت في دفتره القديم :

الحبّ ليس ما ننتظره من الآخر، بل ما نُصبح عليه حين نكون معه

ثم أغلقت الدفتر، وأعادته إلى مكانه

وحين ودّعها، لم يسألها متى ستعود

فقد تعلّما معًا..أن الغياب، حين يكون صادقًا، لا يُطفئ الشعور.. بل يتركه يتنفس

حين يعود القلب إلى نفسه

مرّت شهورٌ أربعة، كانت فيها «نور» تعيش خارج الضجيج...

لا في المدن، ولا في الذاكرة، بل في الحقول، حيث اعتادت زيارة البيت الريفي كل أسبوع، وتجلس حيث كتبت تلك الجملة ذات يوم

لم تكن تحتاج إلى الكثير:

كوبُ شاي،

وشمسٌ غاربة،

وصمتٌ يملأ فراغات الروح بشيءٍ يشبه الشفاء

ذات مساء، فتحت النافذة، فرأت «هادي» يقف قرب شجرة الزيتون القديمة، لا يلوّح، ولا ينتظر

كان فقط هناك... كأنّه جزءٌ من المشهد، لا دخيلٌ عليه

نزلت إليه

جلسا متقابلين، وعلى وجهيهما صمتٌ ناضج، يشبه الذين التقوا كثيرًا دون أن يضيعوا الكلام

قالت : أصبحتُ أحبّ الحياة..لا لأنها عادلة، بل لأني صرتُ أعرف كيف أحتملها دون أن أنكسر

ابتسم وقال :

وأنا بدأتُ أفهم أن الحب ليس سؤالًا نبحث عن إجابته بل حضورًا

لا يحتاج إلى شرح

تأملت وجهه طويلًا، ثم رفعت عينيها نحو السماء

قالت :

لم أعد أبحث عن بطلٍ ينقذني

كل ما أريده : من يمشي بجانبي... حين أقرّر النجاة وحدي

قال :

وأنا لا أبحث عن امرأةٍ تُعجبني

بل عن امرأةٍ تُشبهني في العمق، حتى إن صمتت، فهمتُها

لم تكن لحظة حبٍّ دراميّة، ولا اعترافًا مذهلًا

بل كانت لحظة اكتمال...

حين يشعر المرء بأنه لم يعد ناقصًا، ولا ينتظر شيئًا ليبدأ

بعدها بأسبوع، كتبت «نور» في مذكرتها

كل ما مررتُ به، لم يكن عبثًا

الألم كان نافذتي الأولى إلى ذاتي

الخذلان جعلني أعود إلى حضن الحياة بقوة

والحب... الحب كان المرآة التي رأتني بوضوح

في اليوم الأخير من ذلك العام، جلست «نور» مع «هادي» قرب المدفأة، وقالت

«هل تظن أن الإنسان يولد مرةً واحدة»؟

أجابها بهدوء :

«لا... كل مرة يختار فيها أن لا يموت داخليًّا، يُولد من جديد»

وفي تلك اللحظة.. لم تكن هناك موسيقى، ولا تصفيق، ولا نهاية مذهلة

فقط شعورٌ عميق

بأن القلب، أخيرًا،

قد عاد إلى نفسه

الخاتمة : حين يتنفّس القلب

لم تكن حكاية «نور» مجرّد سردٍ لآلامٍ وذكريات

بل كانت رحلةً إلى الداخل،

حيث تنكسر المرايا القديمة،

وتُبنى من الشروخ نافذةٌ جديدة، تُطلّ منها الروح على الحياة

تعلّمت «نور» أن النجاة لا تأتي من الخارج،

بل من قرارٍ صغير... ألّا تسمح لليل أن يسكنها طويلًا،

وأن تمضي، ولو وحدها، في دروبٍ لم تمهّدها الظروف، بل الشجاعة

أحبّت «هادي «... لا لأنه أنقذها،

بل لأنه اختار أن يمشي بجانبها حين أنقذت نفسها

وأحبّها... لا لأنها كانت كاملة،

بل لأنها لم تخَف من كسرها،

وصنعت من هشاشتها شيئًا جميلًا، يشبه الضوء حين يمرّ من الزجاج المتصدّع

في النهاية،

لم تحتفل «نور» بنهاية الحكاية،

بل بدأت كلَّ يومٍ وكأنها تقول للحياة :

«أنا هنا»

بقلبي الذي تنفّس بعد طول اختناق،

وبروحي التي عادت من الغياب،

وبخطايَ التي لن تتوقف عن السير،

مهما اعترضها التعب، أو الحنين، أو الذكريات

وهكذا..

انتهت القصة،

لكن القلب... بدأ يتنفّس

المحتوى

الإهداء	5
مقدمة	7
نبضُ الخوف	9
نبضُ الخوف	11
رسائلُ لا تُكتب	14
اللقاءُ المؤجَّل	17
عندما تعود الدقّات	20
رسائلُ لا تصل	23
ظلُّ الغياب	26
بين الأملِ والانتظار	29
صمتُ الكلمات	31
نبضُ الحياة	33
خطواتٌ على طريقِ الضوء	35
مفترقُ الأرواح	38
أوراقُ باريس	40
في غيابِ النور	43
حين تعود الفراشة	45
حين ينبت الحنين	47
حين يبتسم الغياب	50

ظلّ العناق 53
حين يكتب القلب 56
سطور لا تنتهي 59
الغريب الذي يشبهني 62
رسائل لا تصل 65
الغريب الذي يشبهني 69
حين يكتبنا اللقاء 72
موعد تحت الزيتون 75
بساتين الصمت 78
حين يُزهر المسك في الطرقات 81
ما لا يُقال 84
حين يعود القلب إلى نفسه 87
الخاتمة : حين يتنفّس القلب 90

هذا الكتاب

في هذه الرواية، تنبض الصفحات كما لو كانت قلبًا يتعلّم من جديد كيف يتنفس. "حين يتنفس القلب" ليست مجرد حكاية عن الألم والفقد، بل رحلة في أعماق الروح، حيث يتقاطع الخوف مع الأمل، والخذلان مع الشجاعة، والحب مع الشفاء. هي مرآة تلتقط لحظات الانكسار كما تلتقط ومضات النهوض، لتذكّرنا أن لكل جرحٍ قدرةً خفيةً على أن يفتح بابًا للحياة.

تسير الرواية بخطواتٍ هادئة، لكنها مفعمة بالدهشة، متنقلة بين مدنٍ ووجوهٍ وتجارب، يجمعها خيط واحد هو البحث عن معنى للحياة حين يثقلها الألم. هي حكاية عن البدايات الصغيرة التي تولد في العتمة، وعن القلوب التي تجرؤ على أن تمنح نفسها فرصة ثانية، ولو كانت الأخيرة. كل مشهد فيها يفتح نافذةً على حقيقة إنسانية: أن القلب، مهما انكسر، يظل يملك شجاعة العودة إلى النبض.

تقدّم رزان الرابي عملاً يتجاوز حِدود السرد التقليدي، لتكتب بصدقٍ يمسّ القلب قبل العين. في قصة "نور" و"هادي" نجد أن الحب ليس وعدًا بالاكتمال، بل مساحة آمنة للتنفس وسط فوضى الحياة. إنّه كتاب يهمس للقارئ: ما دامت الروح تتنفس، فما زالت هناك فرصة للحب، وللأمل، ولحياةٍ تستحق أن تُعاش.

سمير اليوسف

لوحة الغلاف للفنان

دار الخليج للنشر والتوزيع
الأردن: عمّان، العبدلي تلفاكس: 35 98 935 77 00962
daralkhalij daralkhalij1998 daralkhalij@gmail.com
تتوفر أصداراتنا على: Google play

9 789923 018613

Designed By S. Alyousef